النقطة، وانما نشير، مثلا، الى ان التحرر الاقتصادي هو جزء لا يتجزأ، وجزء اساسي، من المعركة التحررية. هذا يعني، ان الاقتصار في الكفاح التحرري على الشعارات السياسية، مهما كانت صيغتها، يُبقي الطرف التقدمي واقفا على ارض رخوة، ويبقيه عرضة لكل تخريبات الثورة المضادة.

ايضـا، حتى يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يتبنى موقف الطرف التقدمي من احدى القضايا المحلية، او الدولية، يجب ان يكون مساهما في قرار اتخاذه. كيف يمكن للمرء ان يطلب من اي طرف كان تبني موقف لم يؤخذ رأيه فيه؟ هل سبقت الحروب العربية ـ الاسرائيلية، مثلا، مباحثات مع الاتحاد السوفياتي لتقويم مختلف المعطيات على الساحة المحلية والدولية؟ وكيف يطلب من الاتحاد السوفياتي، اذن، ان يتحمل اي عبء في حرب اندلعت في منطقة ذات اهمية استراتيجية دولية، اي منطقة تهم الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة معا، ولم يشارك الاتحاد السوفياتي في اتخاذ القرار فيها؟ اي واحد من الاحداث الخطيرة التي جرت في المنطقة العربية، من السيتينات الى اليوم، تمت دراسته مع الاتحاد السوفياتي؟

لكن، هناك وجه آخر للموضوع. اذا كان الاتحاد السوفياتي لا يشارك في اتخاذ القرار، فمن يشارك فيه؟ لنفرض ان الطرف التقدمي اتخذه بقرار «مستقل»، فما هي، في هذه الحالة، الاسس والمعطيات التي تم، بناء عليها، اتخاذ القرار؟ هل كانت لدى الطرف التقدمي معلومات كافية او شبه كافية؟ وما هو مصدرها؟ الا يمكن، ان وجدت، ان يكون مصدر بعضها على الاقل الطرف الامبريالي نفسه، اي ان يكون مصدر بعضها مضللا؟ بل الا يمكن ان يكون الطرف التقدمي البريء قد وقع في مطب رجعي؟ مثلا، هل رئيس مصر السابق السادات كان، بعد زيارته القدس، غيره قبل الزيارة، اي هل كان تقدميا من قبل، وصار رجعيا؟

لا نقصد من هذه التساؤلات الانتقال الى تقويم الماضي ولا الايحاء بنوع من التقويم، وانما تقودنا مثل هذه التساؤلات الى امرين اساسيين: الاول، هو ان الطرف التقدمي العربي يستطيع ان يطلب من الاتحـاد السـوفياتي التأييد والدعم على كل المستويات بمقدار ما يشرك الاتحاد السوفياتي في اتخاذ القرار ضمانة لنضوجه ولبنائه على اسس سليمة ومعطيات صحيحة وحديثة. ربما كان بمقدور المنطقة العربية ان تتجنب الكثير من الكوارث لو اشركت القوى التقدمية الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية في اتخاذ القرارات.

يدخـل في صميم نضال الطرف التقدمي، ايضا، «دعم» الاتحاد السوفياتي في محاربة مختلف المقـولات الرجعيـة. ان المـؤسسات التربوية والثقافية، بدءا من الحضانة حتى اعلى الدرجات الجامعية، بالاضافة الى الكتاب والمجلة الادبية او الاجتماعية والى الفيلم والاغنية والمادة التـرفيهية التلفزيونية والى المؤسسات الاعلامية، تقوم كلها، في المنطقة العربية، بعملية ترويج جبارة، بحجة حرية الفكر، لكل انواع الاطروحات البورجوازية، الثقافية والاعلامية. مصدر جميع المواد المنشورة، او المبثوثة، او المقدمة للاطفال وللتلاميذ وللطلاب، في المنطقة العربية، هو غالبا، البلدان الرأسمالية؛ و «حرية» الفكر لا تدفع للاطلاع، على الاقل، على المادة الثقافية السوفياتية. الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج، يذهبون الى البلدان الرأسمالية اذا كانت احوالهم المالية تساعدهم على ذلك، ولا يذهبون الى البلدان الاشتراكية الا في حالة المنحة المجانية. احيانا، تعاف المنحة المجانية الاشتراكية، وتفضل بدلا منها الدراسة في بلد رأسمالي. حتى في المسلسلات التلفـزيـونية العربية، كثيرا ما يكون البطل «في لندن»، او «في باريس»، لم يحدث ان كان احد